الفضاء الإفتراضيّ فضاء سياسيّ جديد: حالة الحراك الشّعبيّ في الجزائر

The virtual space is a new political space: The case of the popular movement in Algeria

تاريخ الاستلام: 2023/01/30 تاريخ القبول: 2023/05/07 تاريخ النشر: 2023/06/18

كريمة بن دراج *
جامعة عبد الحميد مهري – قسنطينة 02 (الجزائر)
Email : kbenderradj@gmail.com

الملخص:

ينطلق بارهاس من فكرة أنّ السّلطة الاتّصاليّة تُمكّن من تكريس الإرادة الشّعبيّة، الّتي تعتبرها تصوّرا معياريّا للفضاء العموميّ، وأنّ الشّعب هو المانح الأوّل لشرعيّة الحاكم والسّلطة السّياسيّة، وأنّ هذه السّلطة الاتّصاليّة بحاجة لفضاء عموميّ من أجل الوجود.

وأمام إفلاس المجتمع السّياسيّ الجزائريّ بنخبه ومؤسّساته التّقليديّة الّتي عمّرت وهيمنت على المشهد السّياسيّ مستغلّة وسائل الإعلام العموميّة – شكّل الحراك الشّعبيّ في الجزائر من خلال الوسائط الاجتماعيّة وشبكات التّواصل لحظةً لإعادة النّظر في الفعل السّياسيّ لرفع الخنق الممارس على كلّ القوى، والتّمدشين لولوج فضاء عامّ أصبح وسيلة تعبير لكلّ التّيارات الاجتماعيّة، حيث أظهر هذا الحراك زخم وقوّة النّشاط السّياسيّ الافتراضيّ مبرزا الحاجة إلى أدوات بديلة للتّعبير ولتداول الطّروحات السّياسيّة المختلفة الّتي لم تجد طريقها إلى التّعبير الدّيمقراطيّ عنها في الأحزاب والمجتمع المدنيّ وعبر وسائل الإعلام التّقليديّة الّتي تنفي الاختلاف والتّعدّد، وباتت آليّة في يد سلطة لا تقدّم خدمة عموميّة بل تكرّس أحاديّة الفكر.

كلمات مفتاحيّة: الفضاء الافتراضي؛ الفضاء السياسي الجديد؛ الحراك الشّعبي.

Abstract:

Habermas proceeds from the idea that the communicative power enables the consolidation of the popular will, wich she considers conception of public space, and that the people are the first grantor of the ruler's legitimacy and political power, and that this communicative power needs a public space in order to exist.

In the face of the bankruptcy of the Algerian political society with its elites and its tradional institutions that have built and dominated the political scene, taking advantage of the public media – the popular movement in Algeria through social media and communication networks- constituted a moment to reconsider the political action to lift the suffocation practiced on all forces, and inaugurate the access to a public space that has become a means of expression for all social currents ; where this movement demonstrated the momentum and strength of hypothetical political activity, highlighting the need for alternative tools for expression and for the circulation of various political propositions, which did not find their way to democratic expression in parties and civil society and through traditional media, which denies difference and pluralism, has become a mechanism in the hands of an authority that does not provide a public service, but rather perpetuates a single-mindedness.

***Keywords**: Space; public; virtual; movement; popular.*

* المؤلف المرسل: كريمة بن دراج

مجلة البحوث والدراسات الإنسانية المجلد 17/ العدد 01 –السنة 2023 ص ص 545-562
EISSN : 2588-2317 ISSN : 1112-8151

مقدمة

الفضاء هو ذلك المكان أو المجال المادّي والمعنويّ المفتوح أمام الأفراد من أجل الاستفادة المشتركة في النّشاط لتحقيق المعنى المشترك، حيث يتّخذ الأفراد في فضاء ما سلوكات تُمليها عليهم الوضعيّة الّتي يكونون فيها، فالفضاء يحمل خصوصيّة ما يمَارس فيه من خلال الحدود الّتي يرسمها ويرتسمها في أذهان من يتردّدون عليه، ولذلك تتعدّد علاقة الإنسان بالفضاء، فهي اجتماعيّة، نفسيّة واقتصاديّة، أدبيّة وعلميّة، ثقافيّة وسياسيّة.

ويُعتبر الفضاء العامّ مساحة ماديّة أو افتراضيّة يمكن لأيّ فرد عاديّ – بغضّ النّظر عن مستواه الاقتصاديّ، الاجتماعيّ أو الثّقافيّ، ومهما كان انتماؤه الفكريّ والإيديولوجيّ أو توجّهه السّياسيّ–أن يعبّر فيها عن رأيه بحريّة.

بهذا المعنى، يُعتبر الفضاء العامّ شعبيّا وليس رسميّا أو نخبويّا، فهو لا يرتبط بمؤسّسات بعينها، سواء كانت مؤسّسات رسميّة ممثّلة للمواطنين أو مجتمعيّة، حتّى وإن كان غير منقطع الصّلة عن هذه المؤسّسات الرّسميّة منها وغير الرّسميّة، لما تلعبه من دور في دعم فاعليّة الفضاء العامّ أو تقويضه ومحاصرته.

ويُعتبر مفهوم الفضاء العامّ أحد المفاهيم المفتاحيّة الّتي يُعتمد عليها في قراءة العلاقة بين السّلطة والمجتمع والمضمون السّياسيّ الحديث، وقد عرّفه هابرماس في كتابه "التّحوّل البنائيّ للفضاء العامّ: دراسة في بنية المجتمع البورجوازيّ"، على أنّه فضاء يتجمّع فيه الأفراد والمشاركون للنّقاش والتّحاور العقلانيّ حول المسائل والقضايا الّتي تهمّهم واحتياجاتهم من الدّولة، من خلال ما يُعرف بتشكيل الرّأي العامّ، وهو بذلك يعتبره بمثابة فضاء للقضايا العامّة، بمعنى آخر فضاء تواصل في العالم المعيش، وهو العالم الّذي يكون فيه الفرد بوصفه كائنا اجتماعيّا وسياسيّا يمارس مواطنته وحرّياته وحقوقه، ولا معنى للفضاء العامّ ما لم يكن

مجالا للفعل السّياسّي الدّيمقراطّي والحوار وتبادل الرّأي، بل وتكوين قّوة مضادّة للسّلطة تكون بمثابة قّوة نقيضة لها.

ولقد عاد الحديث عن الفضاء العمومّي بين النّخب الأكاديميّة بظهور الميديا الجديدة، حيث ترى أنّها المبشّر "لتأسيس" السّاحة العامّة Agora لقدرتها على خلق فضاء متنّوع الأبعاد يحتضن أنماطا عديدةمنالتّفاعل، وبذلك يكون المفهوم الهابرماسّي قد انطبق على شبكات التّواصل الاجتماعّي، خاصّة بعد التّحّول الّذي عرفته الدّول العربيّة بعدما اصطُلح عليه بالثّورات العربيّة.

كما استطاعت الوسائط الجديدة هدم أسطورة الاحتكار الإعلامّي الرّسمّي وسيطرة الحكومةوالتّوبيّات السّياسيّة على المعلومة، حيث أثّرت شبكات التّواصل على أداء الإعلام بإسهامها في تحقيق مشاركة الجمهور في صناعة المادّة الإعلاميّة، متخلّصة من نموذج الإعلام التّقليدّي الّذي يعامل الجمهور كمستقبل ومستهلك سلّبي.

وانطلاقا من أنّه في كلّ مرحلة تاريخّية يتشكّل وعي يحتاج لوسائل تعبير، فإنّ الحراك لحظة لإعادة النّظر في الفعل السّياسّي بحكم أنّه فعل يعبّر عن مستويات اجتماعيّة وثقافيّة، كما أنّه استطاع أن يعكس الفرق بين الثّقافة التّقليديّة للفعل السّياسّي الّتي تتّسم بالتّراتبيّة وثقافة حديثة أو رقميّة تمنح لكّل شخص حّريّة الحضور والتّعبير الحّر والوجود الفكرّي والسّياسّي، من خلال علاقات تواصليّة لا تعرف معنى للتّراتبيّة السّياسيّة.

ولقد شاهدنا في بعض دول الغرب أنّ الأحزاب السّياسيّة التّقليديّة بدأت تتراجع وحتّى تتلاشى، وبالمثل فعل المجتمع الجزائرّيالّذي دخل في تناغم مع الفلسفة العالميّة الجديدة الّتي لا تؤمن بالأُطر التّقليديّة، وتعبّر عن ذاتها من خلال وسائل التّواصل الاجتماعّي، حيث باتت الشّبكات الاجتماعيّة تفرض نموذجا جديدا لشرح آليّات تأثير وسائل الإعلام في تكوين الرّأي العامّ خلال الظّروف الاستثنائيّة الّتي تعيشها المجتمعات في

لحظة ما من تاريخها، حيث يظهر فيها قلق اجتماعيّ كمعطى موضوعيّ ينتج عن فساد النّظام السّياسيّ القائم، ووعي جمعيّ متنامٍ بوجود ذلك الفساد، لتتغذّى عليها الشّبكات الاجتماعيّة الّتي تُضخّم حالة القلق حتّى تحوّلها إلى اضطراب اجتماعيّ.

بناءً على ما سبق، ستحاول هذه الورقة الإجابة عن التّساؤلات الموالية:

بماذا يمكن تفسير تحوّل الفضاء الافتراضيّ إلى فضاء افتراضيّ سياسيّ جديد؟ وكيف يُعتبر الحراك الشّعبيّ؟ هل هو تحوّل في طبيعة النّشاط السّياسيّ أم استجابة لحالة من الانغلاق الإعلاميّ والسّياسيّ في الجزائر؟

2- الفضاء العامّ من الواقعيّ إلى الافتراضيّ

تبلورت فكرة الفضاء العموميّ مع تطوّر المجتمع البورجوازيّ الأوروبّيّ، الّذي - وابتداءً من القرن الثامن عشر- عرف تغييرات جذريّة على مستوى العلاقات بين الفئات الاجتماعيّة المشكّلة له على مستوى علاقات الطّبقة السّياسيّة والبورجوازيّة، وعلى مستوى الإنتاج المادّيّ والمعرفيّ من وسائل الإنتاج الصّناعيّة إلى وسائل الإنتاج الفكريّة.

وتُعتبر مساهمة هابرماس (Habermas) بخصوص الفضاء العامّ من أولى المساهمات بخصوص هذا المفهوم في القرن العشرين، وتبرز أهمّيّة هذه المساهمات في إعادة التّفكير في مفاهيم مرافقة للفضاء العامّ كالشّرعيّة والدّيمقراطيّة التّشاوريّة وتشكيل رأي عامّ حرّ.

ويعرّف هابرماس الفضاء العامّ على أنّه: «الحيّز المعنويّ الّذي يتّم فيه عقد النّقاشات العامّة من أجل اتّخاذ القرارات الّتي تسيّر الشّأن العامّ» (Cottereau & Ladriere, 1992, p. 35)، وعليه فكلمة عموميّ مشتقّة من عامّ أي الشّأن الجماعيّ المشترك، عكس كلمة "خاصّ أو شخصيّ"، أو الفرديّ الّذي يؤوّي إلى منفعة شخصيّة أو ذاتيّة.

ويرى لويس كيريه (Louis QUÉRÉ) أنّه: «فضاء رمزيّ يُسمح فيه للأفراد بالتّموقع والتّموضع داخل المجتمع واتّجاهه، ويحمل المفهوم فكرتين: الأولى أنّه مجال عموميّ

للتّعبير الحّر، ننظر إليه كفضاء للاتّصال، والثّانية أنّ الأفراد بداخله يُبرزون آراءهم خلال النّقاش العلّني بحيث يلجؤون إلى استعمال دلالات عقلانيّة في محاولة إيجاد حلول مناسبة للمسائل العامّة» (Quéré, 1990, p. 10)

اتفق التعريفان السابقان على رمزية الفضاء العام وفي امكانية كونه معنويا، فدلالة الالتقاء في هذا الفضاء هي حرية الفكر في مناقشة الشأن العام لا بالضرورة الوجود المادي للمكان والأشخاص.

وتعّرف مدرسة شيكاغو على لسان ريشارد سمرت (Richard SEMRET) الفضاء العمومّي على أنّه: ذلك المكان الّذي توضع فيه الّرموز تحت تصّرف الأفراد، فيقومون بترجمتها وتأويلها من أجل بناء علاقات تبادليّة فيما بينهم، كما يُعتبر هذا النّوع من الفضاءات تلك الفضاءات المبنيّة بين الأفراد المعروفين بذواتهم وبأفعالهم في المجتمع، حيث يبنون هذه العلاقات من أجل التّفاهم والتّعاون الاجتماعّي». (Quéré, 1990, p. 102)

لا يتعلق الجديد في تعريف مدرسة شيكاغو في رمزية الفضاء العام فقط ولكن في الأفراد المشكلين له والذين يشترط فيهم أن يكونوا معروفين بذواتهم وأفعالهم في المجتمع، على عكس ما جاء به هابرماس في تحديده لسمات الفضاء العام.

وتقول المفكّرة الألمانيّة أرندت حنّا (Arendt HANNAH) أنّ إضفاء صفة العموميّة على الفضاء يوضّح تبادل الآراء والأفكار، حيث أنّ فكرة الّرأي العّام أصبحت مرتبطة بمفهوم الفضاء العامّ . (Cottereau & Ladriere, 1992, p. 30)

لذلك اعتبره هابرماس مساحة اجتماعيّة تتيح لأفراد المجتمع النّقاش الجماعّي الحّر غير المقيّد، وتكوين رأي عّام فيما يتعلّق بالمصالح والقضايا المشتركة بينهم، بهدف الوصول إلى توافق بشأن المصلحة العّامة وكيفيّة تحقيقها.

ولتحقيق هذا التّوافق يؤكّد هابرماس على ضرورة أن يتّسم المجال العامّ بمجموعة من السّمات والخصائص، تتمثّل في: (عبد المحسن ، 2016، ص 4)

1. **المساواة وعدم التّمييز**فالمجال العامّ يقوم على تكوين علاقات اجتماعيّة بين الأفراد المختلفين – بغضّ النّظر عن الحالة الاجتماعيّة –تتأسّس على المشترك الإنسانيّ والمساواة وتفوق الحجّة الأقوى، لا على التّراتبيّة الطّبقيّة، وبعيدا عن تأثير القوّة والنّفوذ الاجتماعيّ أو الاقتصاديّ أو المنصب العامّ؛
2. **إتاحة المجال العامّ للجميع:** فهو مجال مفتوح لكلّ أفراد المجتمع للمشاركة والفعل، وليس حصريّا على فئة أو مجموعة معيّنة أو محدّدة مسبقا؛
3. **إتاحة مناقشة جميع القضايا المشتركة بين أفراد المجتمع:** والّتي كانت من قبل حكرا على الدّولة.

إنّ حالة الانغلاق في وسائل الإعلام التّقليديّة – النّاتجة عن تحكّم السّلطة في الإعلام الرّسمي وتواطؤالقنوات التّلفزيونيّة الخاصّة – زادت من الحاجة إلى أدوات بديلة للتّعبير ولتداول الطّروحات السّياسيّة المختلفة، الّتي لم تجد طريقها إلى التّعبير الدّيمقراطّي عنها في وسائل الإعلام التّقليديّة بسبب الضّغوط الإداريّة والاقتصاديّة أو القانونيّة الممارسة على تلك الوسائل.

يعيد الإعلام البديل –بشبكاته الاجتماعيّة ومحتوياته الحرّة غير الخاضعة للتّأطير المؤسّساتيّ الضّابط–بعث الفضاء العامّ حين ينشئ سياقا سياسيّا يُشعر الفرد بمسؤوليّاته التّاريخيّة اتّجاه بلده، وسياقا تكنولوجيّا يتيح له فرصة التّعبير، ثمّ سياقا فكريّا يقدّم للفاعلين في تلك الشّبكات فرصة التّعاطي العقلانيّ مع القضايا، وبهذا يقترب ذلك الفضاء العامّ المشكّل من صيغته المثاليّة الّتي كان عليها في القرن الثّامن عشر بحسب وصف يورغن هابرماس، رغم أنّ وجه النّقد الموجّه لمقاربة هابرماس بالأساس يدور حول تحوّلات اللّاعبين

في المجال العمومّي الّراهن، فالتّحوّلات الّتي أحدثتها ثورة الاتّصالات في العقود الأخيرة مكّنت الجميع، الخواصّ والعوّام من القيام بدور في المجال العمومّي.

إنّ هذا الفضاء العامّ الجديد بات يتداخل وبتوافقيّة أكبر مع مفهوم الّرأي العامّ ليس باعتباره المجموع الحسابّي للآراء والتّوجّهات الفرديّة الّتي يتّم تداولها في عالم الأنترنت، بل باعتباره ديناميكيّة جماعيّة جارفة باتت مدخلاتها أفقيّة المسار، يتعاظم دورها خلال مراحل التّفكّك الاجتماعّي أو عدم التّكامل الاجتماعّي، عبر خلق وحدة شعور بين أفراد المجتمع بضرورة السّعي الجماعّي لتحقيق التّغيير المنشود.

ويربط الكثير من المدافعين عن الّديمقراطيّة الّرقميّة علاقة الميديا الجديدة بإحياء النّموذج الأصلّي للفضاء العمومّي، فبفضل مواقع التّواصل الاجتماعّي بشكل خاصّ توسّع الفضاء العمومّي، لاسيما أنّه ستوعب الفئات الّتي كانت عرضة للإقصاء والتّهميش في الفضاء العمومّي التّقليدّي الّذي هيمنت عليه الأنساق الّسياسيّة والثّقافيّة والاقتصاديّة.

في كتابه "المجتمع الافتراضّي" كتب الباحث Rheingold HOWARD أنّ المجتمع الافتراضّي يجمع أشخاصا من كّل أنحاء العالم، يقيمون فيما بينهم علاقات تعاون، تبادل معلومات وخبرات، ويُجرون مناقشات ثريّة، أكثر ممّا هو عليه الحال في الحياة الواقعيّة (بعزيز، 2010).

إنّ أكثر ما يميّز الفضاء الافتراضّي وما يؤكد عليه صاحب هذا الكتاب هو فكرة "اللامكان" ومادية الوجود بالنسبة لهذا الفضاء، وبالتالي نهاية فوبيا المكان؛ فهو أكثر الأمكنة تحّررا لعدم مقدرة أّي طرف ا متلاكه، ويُعتبَر إيذانا بدمقرطة الحياة الّسياسيّة وظهور مجالات عديدة للتّعبير الحّر والتّفكير النّاقد والالتزام بالقضايا الوطنيّة، فضلا عن تبادل المعلومات والأخبار وجلب الضّامن والتّعاطف للقضايا العادلة.

وقد جاء في دراسة أعدّتها منظّمة التّعاون والتّنمية الاقتصاديّة (OCDE) أنّ: الفضاءات الإفتراضيّة والمدوّنات الإلكترونيّة ومواقع التّشبيك الاجتماعيّ يمكن أن تُستعمل للتّواصل مع النّاخبين ولتبادل وجهات النّظر ولإثارة نقاشات ولتقاسم المعلومات حول القضايا السّياسيّة والمجتمعيّة، فالكثير من المعلومات والأخبار قد لا تقدّمها وسائل الإعلام التّقليديّة سواء عن قصد أو دون قصد أو بفعل ضغط الحكومات والمؤسّسات المالكة لها، وهو ما يجعل "الإعلام البديل الوسيلة الفعّالة لكشف هذه القضايا والمعلومات المتستَّر عليها». (حمامي، 2011، ص ص15-29)

لذلك يتميّز الفضاء العموميّ الإفتراضيّ عن الفضاء العموميّ التّقليديّ ببعض الخصائص :

أشكال جديدة من الفعل الاجتماعيّ:

سمحت مواقع التّواصل الاجتماعيّ للنّخب السّياسيّة المهمّشة بتجاوز آليّات تغييبها عن المجال العموميّ التّقليديّ الّذي تسيطر عليه الدّولة، وشكّلت فضاءات يحكمها الانسجام الفكريّ تُنتِج مضامين سياسيّة وثقافيّة؛

ساهمت الشّبكات الاجتماعيّة منذ ظهورها في كسر الحواجز التّقليديّة للفضاء العموميّ، والّتي تشكّلها وسائل الإعلام التّقليديّة؛

وفّرت الأنترنت بفضل التّطبيقات الجديدة نشوة اتّصاليّة غير مسبوقة، مكّنت الفرد من التّخاطب مع أكثريّة النّاس دون عناء وبكلّ الحينيّة والسّرعة المطلوبتين في التّفاعل والتّحاور.

3- الفضاء الافتراضي السّياسي والحراك الشّعبي في الجزائر

تعيش المجتمعاتيّة مرحلة انتقاليّة، انتقالا من فضاء الأماكن إلى فضاء الشّبكات الافتراضيّة، ومن الاستبداد إلى الحرّيّة، ومن الفرديّ إلى الجماعيّ، ومن الفائت إلى الرّاهن، ومن الخاصّ إلى العامّ، ومن الاثنّفاقي إلى الخلافيّ، والعكس بالعكس.

إنّ هذا النّوع الجديد من المجتمعات الّذي صار يتشكّل بفضل شبكات التّواصل الاجتماعيّ سمّاه المنظّر السّوسيولوجي لفضاء الشّبكات الافتراضيّة "**مانويل كاستلز**" بـ "مجتمع الشّبكات"، هذه الشّبكات الّتي سمحت للجماهير بانتزاع مجال عامّ جديد، عنوة وليس نتاج عقد اجتماعيّ أو نزعة دستوريّة؛ لتحتجّ فيه ومن خلاله.

ويعبّر الاحتجاج عن أزمة مجتمعيّة عميقة، تُغذّيها إخفاقات مشاريع التّنمية، كما تغذّيها أشكال الممارسات السّياسيّة، وتشير الإحصائيّات إلى تنامي الأشكال المختلفة للفعل الاحتجاجيّ، ويرقى الاحتجاج إلى مستوى الظّاهرة الاجتماعيّة الّتيتتوسّع أفقيّا بما تشغله من الفضاءات، وعموديّا يلخّصها مشهد تنامي الفئات الاجتماعيّة المشاركة فيه.

كما يعبّر الاحتجاج عن أزمة النّسق السّياسيّ، حيث لم يعد بإمكان خطاب الفاعل السّياسيّ وأدواته التّنفيذيّة إقناع المواطنين بالاحتكام إلى المؤسّسات والأجهزة الإداريّة العموميّة في طرح مطالبهم والتّكفّل بها، فُيقْدمون على الاحتجاج، ليتحوّل هذا الفضاء إلى مكان تمَاس فيه صنوف التّفاوض الاجتماعيّ بين المحتجّين وأسياد الحقل، فتُضعف هذه الممارسات أداء المؤسّسات الّتي يديرها النّظام السّياسيّ، وتكشف عن العجز البيروقراطّي الكامن في أنظمة الحكم.

عدا بعض الاحتجاجات ذات الخلفيّة الدّينيّة والإيديولوجيّة أو السّياسيّة، لم تسجّل الجزائر ما يعكّر هدوء العقدين اللّذين أعقبا الاستقلال، إلّا بعض الأعمال الاحتجاجيّة محدودة الحيّز وضعيفة الأثر وذات الامتداد الشّعبي المحدود، ويمكن تفسير ذلك بطبيعة

النّظام السّياسّي الّذي قمع المعارضات السّياسيّة الزّعاميّة وأحكم قبضته على مفاصل الدّولة، ثمّ إطلاقه تجربة التّنمية الإشتراكيّة، وهو ما جعل شرائح واسعة من المجتمع تنخرط فيها، خاصّة في فترة الرّئيس "هّواري بومدين"، الّذي حقّقلتلفافا شعبيّا حول مشروعه التّنمويّ، وقد ساعدته في ذلك شخصيّته الكاريزميّة ونزعته الشّعبويّة ونجاحاته الميدانيّة.

حّركت فئة العّمال المشهد الإحتجاجّي في الجزائر عندما توالت أشكال الإحتجاج الأخرى، فقد برز الحراك الإحتجاجّي داخل عالم الشّغل، وأخذ شكل الصّراعات والإضرابات والحركات المطلبيّة في القطاعين الخاصّ والأجنبّي، ثمّ في القطاع العّام الوطّني (خليل، 2006، ص ص296-297) ورغم أنّ المطالب لم تخرج عن المحتوى الإقتصاديّ الدّفاعّي، فإنّها تجذّرت وانتقلت من الأشكال التّعبيريّة البسيطة والمحصورة مكانيّا إلى الأشكال الأكثر جماعيّة وتنظيما، وذات المطالب المهيكلَة والأقّل دفاعيّة، بل وذات الطّابع السّياسّي، كالمطالبة بمجالس عّماليّة ديمقراطيّة ومعارضة الطّرد التّعّسفّي للعّمال، كما ازدادت هذه الإضرابات تجذّرا وأصبحت أكثر استدامة وأوسع مشاركة، وبرز فيها الفعل التّفاوضّي تعبيرا عن نضج الحركة العّماليّة، إذ تمّ عبر ممثّلي العّمال؛ أي بعيدا عن التّأطير النّقابّي الرّسّمي. (خليل، 2006، ص 298)

وبرزت في هذه المرحلة أيضا بوادر حراك طلّابّي في الجامعات الجزائريّة الكبرى، مشكّلة بذلك بؤرا للإحتجاج الفاعل في المجتمع، حيث طرح الكثير من القضايا السّياسيّة الوطنيّة والدّوليّة، قبل أن تُعطّل استقلاليّته التّنظيميّة والسّياسيّة، مثلما حصل مع الحركة النّقابيّة، بالإضافة إلى ضعف المردود الإحتجاجّي ومحدوديّة حيّزه المشغول، مع حضور مكثّف للتّعاطي الأمّني القمعّي كَسِمة غالبة. (سعود و ماهور باشا، خريف 2016، ص 102)

والوقوف عند مفهوم "الحراك" – لاقتناص دلالاته البعيدة والقريبة – يجعلنا نتلّمس بعض الغموض، سواء من حيث البعد اللّغوّي أو البعد المعرفّي وتَشَكّل هذا الإلتباس من

خلال ا ِرتباط الاحتجاج في الجزائر بما وقع في الدّول العربيّة، خاصّة: تونس، مصر، سوريا، اليمن، حيث ا ِنخرطت هذه الدّول فيما يُسمّى بـ "الرّبيع العربّي"، والّذي أنتج لنا مفهموم الثّورة. (بوعرفة، 2019، ص 13)

أمّا مصطلح الحَراك" بفتح الحاء، فهو ا ِسم مشتقّ من فعل ثلاثّي أصله " حَرَكَ" أو بالتّشديد " حَرَّكَ" ، ويعني الحركة الّتي تعبّر عن كلّ مظهر عامّ من مظاهر النّشاط، وهي بذلك ضدّ السّكون. (الإفريقي، 1988، ص 94)

وتقابلها بالإنجليزيّة لفظتان ذواتا مدلولين مختلفين نسبيّا، فالحراك بمعنى "Mobility" ومعناه التّنقّل من مكان إلى آخر، أو من طبقة إلى أخرى، أو من مكانة ا ِجتماعيّة إلى أخرى في هرم التّدرّج الاجتماعّي، ليصبح معناه الحراك ا ِجتماعيّا" "Social mobility"، وهو ما لا يتوافق مع موضوع الحراك الجزائريّ.

وعليه تكون اللّفظة الثّانية "Movement" ذات دلالة قويّة على الموضوع، وتعني الحراك السّياسّي والاجتماعّي ضمن المكان نفسه، وتعني أيضا الحركة الاحتجاجيّة والنّضال السّياسّي من أجل تغيير الوضع السّائد إلى وضع أكثر أمنا وا ِستقرارا، وعليه يمكن أن يشترك اللّفظان في معنى التّنقّل إذا نظرنا إلى الأمر من زاوية الانتقال من نظام فاسد إلى نظام راشد، أو من شرعيّة تاريخيّة إلى شرعيّة سياسيّة، أو من مجتمع بطريكّي موجّه إلى مجتمع مدنيّ واع (بوعرفة، 2019، ص 13).

ومن بين العوامل الّتي ولّدت الرّغبة في الحراك بالجزائر والتغيير نذكر: (حميدو، 2019، ص 14)

1. إدراك الأفراد للخطر المحدق بالبلاد جّراء التّعدّيات الصّارخة الّتي لاحظوها في السّنوات السّابقة للحراك؛

2. تفشّي حالة القلق الاجتماعيّ الّتي انتشرت بسبب الفساد العلّني والسّياسات التّقشّفيّة « الرّحيمة بالميسورين والصّارمة مع ذوي الدّخل الضّعيف»؛
3. تضييق الأفق الاجتماعيّ للكثير من الشّباب؛
4. الاستفزازات السّياسيّة والإعلاميّة الّتي يتلقّاها المواطنون من طرف المسؤولين السّياسيّين؛
5. مظاهر عبادة الشّخصيّة، المرتبطة بصورة الرّئيس بوتفليقة؛
6. المساس بصورة الجزائر وكرامتها على الصّعيد الدّولي نتيجة حكم البلاد من طرف شخص غير مؤهّل صحيّا؛

يمكن القول إذن أنّ الحراك الشّعبي في الجزائر جاء نتيجة لتراكمات عديدة من الأخطاء في الخيارات والسّياسات المنتهجة، خلقت تربة خصبة هيّأت الجزائر للتّقبّل الجماعيّ لفكرة الثّورة على الحاكم وعلى نظام حكمه، وتميّزت فترة حكم بوتفليقة بما يلي:

1. نقل الأحزاب السّياسيّة المعارضة من الدّاخل وانحسار فعاليّتها في السّاحة السّياسيّة الدّاخليّة؛
2. إخضاع الإعلام لرغبات السّلطة والحاكم؛
3. غلق المجال السّياسّي وتحويل الدّيمقراطيّة الجزائريّة الفتيّة إلى ديمقراطيّة عقيمة، عن طريق سياسة التّحالفات الحزبيّة الخادمة لسياسة الرّئيس؛
4. الغلق السّياسّي المنهجّي للحياة السّياسيّة في البلاد، أدّى إلى الرّتابة والملل في الحياة؛
5. استبعاد الرّؤى الجديدة للشّباب.

- **شبكات التّواصل الاجتماعيّ كوسيط للتّواصل السّياسّي وللتّعبئة:**

يربط الكثير من المدافعين عن الدّيمقراطيّة الرّقميّة علاقة الميديا الجديدة بإحياء النّموذج الأصلّي للفضاء العموميّ، فبفضل مواقع التّواصل الاجتماعيّ بشكل خاصّ توسّع هذا الأخير، لاسيما أنّه استوعب الفئات الّتي كانت عرضة للإقصاء والتّهميش في الفضاء العموميّ التّقليديّ الّذي هيمنت عليه الأنساق السّياسيّة والثّقافيّة والاقتصاديّة.

ولما كان الإعلام في الجزائر موجّها من طرف الدّولة وأحزاب السّلطة باعتباره جهازا إيديولوجيّا يخدم خطاب السّلطة بمفهوم الفيلسوف لوي ألتوسير، مع تهميش شريحة واسعة من الفئات المجتمعيّة، كانت الفضاءات الاتّصاليّة البديلة الّتي شكّلتها الميديا الجديدة هي الوعاء الوسيط الّذي ينفذُ من خلاله الكثير من " المهمّشين" للتّعبير عن آرائهم، وبالتّالي تكوين فضاء عامّ للنّقاش والجدال المتحرّر من الهيمنة الاجتماعيّة والسّياسيّة للسّلطة.

ولقد كان للشّباب الجزائريّ – كغيره من الشّباب العربّي– توجّه نحو الاهتمام بالقضايا السّياسيّة الدّوليّة والإقليميّة، أكثر من اهتمامه بالقضايا السّياسيّة الدّاخليّة (حميدو ك.، 2018، ص 16)، يأتي هذا كانعكاس لطبيعة البيئة السّياسيّة الّتي تطبع أغلب الدّول العربيّة، والّتي تتّسم بغياب دولة القانون وغياب الثّقافة القاعديّة في التّعامل مع الأفكار المخالفة للرّأي، المهيمنة على المجتمعات العربيّة، إضافة إلى تداعيات العشريّة السّوداء الّتي عرفتها الجزائر بين 1991 و2001 (حالة الطّوارئ، تجريم الفعل السّياسّي والإعلاميّ المتعلّق بالأمن)، لكن ومنذ أن بدأت ترتسم في الأفق مؤشّرات ترسيم ترشّح الرّئيس المريض لعهدة خامسة ظهر تأهّب الحقل السّياسّي الدّاخلّي لإقحام نفسه شيئا فشيئا في الفضاء الفايسبوكّي.

ويمكن إرجاع أسباب تمنّع الأفراد عن التّعبير المعارض في الشّبكات الاجتماعيّة وفي الشّوارع بين 2011 و2014 إلى ما نعيّن: (حميدو ك.، 2019، ص 14)

1. الوعي السّياسّي المرتبط برفض الفوضى السّياسيّة المخطّط لها لتحقيق مكاسب سياسيّة إقليميّة أو دوليّة.

2. رفض التّدخّل الأجنبّي في الشّؤون الدّاخليّة للبلاد لزرع الفتنة فيها وتقسيمها.

أغرى الفايسبوك أيضا الأحزاب والشّخصيّات السّياسيّة في الجزائر لولوجه، ففتحوا صفحات للتّفاعل مع المواطنين ولجمع المزيد من المتعاطفين، كما أفرز نخبا جديدة من قادة

الّرأي من الّذين لم يجدوا لهم مكانا الفضاءات الواقعيّة، والّذين استطاعوا تحريك الشّارع الجزائريّ من خلال هذه الشّبكات، ويمكن الحديث عن نوعين من الفاعلين من هؤلاء: (حميدو ك.، 2019، ص 10)

1. **النّوع الأوّل**: كان له تأثير قياديّ محرّك للّرأي العامّ الافتراضّي عبر توجيه الحراك وتأطيره وتنظيمه.

2**النّوع الثّاني**:كان له تأثير تابع، حيث اكتفى بالاطّلاع على محتويات الشّبكات الاجتماعيّة، من خلال التّعليق والتّعبير عن مساندة الحراك وإعادة إرسال تلك المحتويات.

إنّ ما تمّ كشفه من طرف الشّبكات الاجتماعيّة ولّد هبّةً وطنيّة سعت لإنقاذ الجزائر من المخاطر الّتي كانت تسير صوبها، وقد لعبت هذه الشّبكات ومحتوياتها دور المثير الاجتماعّي الّذي كان المنطلَق لخلق قناعات شخصيّة ولّدت بدورها وحدة شعوريّة استثنائيّة نشأت بين عموم المواطنين الجزائريّين منذ أوّل يوم من الانتفاضة.

وما زاد في الالتزام بالخروج للتّظاهر في العالم الحقيقّي بعد المساهمة في خلق ديناميكيّة الحراك في الشّبكات الاجتماعيّة عاملان اثنان: (حميدو ك.، 2019، ص 19)

1.التّحرك الإلكتروني الجماعّي في الفضاء الافتراضّي: مجموعة وطنيّة مدافعة عن المصلحة العامّة مقابل مجموعة من المسؤولين فقدوا الشّعور بالمسؤوليّة التّاريخيّة اتّجاه الوطن).

الإحساس الجماعّي بالمسؤوليّة الوطنيّة، خاصّة بعد التّيقّن من سلميّة الحراك وحضاريّته.

عليه، لم تعُد شبكات التّواصل الاجتماعّي وسائل بديلة للتّعبير عن الّرأي فقط أو وسيطا يتّم التّواصل عبره لإبلاغ الّرسائل لمختلف الفئات الاجتماعيّة، بل واقعا افتراضيّا للفعل والحراك، انطلاقا من إنتاج الخطاب والتّرويج له، مرورا بتنظيم الحراك والتّعبئة له، وصولا إلى تحقيقه في الفضاء العامّ الحقيقّي.

ولقد أكّدت العديد من الّدراسات أنّ الفايسبوك مثلا شكّل حصّة الأسد من الاستخدام، فقد أظهرت الإحصائيّات أنّ عدد مستخدمي الشّبكات الاجتماعيّة في

الجزائر بلغ 23 مليونا جزائريّ، 21 مليونا منهم يدخلون على تلك الشّبكات باستخدام وسائط محمولة، ويُعَدُّ الفايسبوك أكثر الشّبكات استخداما في الجزائر، إذ بلغ عدد مستخدميه 22 مليونا في يناير 2019 »(digital, 2019)

ويمكن تفسير هذا الاستخدام بالمزايا المتجدّدة لهذه الوسيلة، الّتي تصبح أقوى تأثيرا في الرّأي العامّ وتوسّعا في محتوياتها بتوسّع دائرة مستخدميها وازدياد عدد المتفاعلين، ليشكّل الفايسبوك مساحة وفضاءً خصبا وعميقا للنّقاش والتّواصل الاجتماعيّ الّذي يُنتِج وعيا افتراضيّا لعديد القضايا.

تسيطر الوسيلة على محتوى الرّسالة حسب ما جاءت به نظريّة عالم الاتّصال "مارشال ماكلوهان" (Marshall MACHLOHAN)، فالفايسبوك كوسيلة تواصل اجتماعيّة أصبحت تحدّد مضامين الرّسالة الإعلاميّة الّتي تُنشَر على نطاق واسع وبسرعة تفاعليّة تسمح بتشكيل رأي عامّ افتراضيّ متشعّب ومنفلت الحجم والهويّة. (بداني و عبو، 2020، ص ص171-172)

لقد تحوّلت منصّات التّواصل من وسيلة تعارف، ترفيه، ألعاب وتسويق في بعض الحالات، إلى قوّة اجتماعيّة وسياسيّة كبيرة، حيث تحوّل الوعي السّياسّي الافتراضّي إلى أهّم عوامل تحريك الجماهير، فالشّعب الّذي كان جاهلا بالدّستور تحوّل إلى قارئ لموادّه، كما عاد الشّباب ليهتّم بالسّياسة بعد أن خابت آماله في التّجارب السّابقة، ما أفقده الثّقة في الانتخابات ورسّخ لديه فكرة التّزوير واتّساع سلطة الطّبقة الحاكمة في تسيير الحياة السّياسيّة بطريقتها الخاصّة.

وفي تقرير أمّي لفريق شون ماكبرايد وآخرون بعنوان "أصوات متعدّدة وعالم واحد"، جاء أنّ شائل الاتّصال أصبحت من روافد الدّيمقراطيّة ومن الآليّات والميكانيزمات الّتي تبني مفهوم الدّيمقراطيّة كممارسة وأفعال اجتماعيّة حقيقيّة لإرساء دعائم المشاركة السّياسيّة. (بداني و عبو، 2020، ص ص177-178)

4- خاتمة:

إنّ الرّكن الأساسّي لتحقيق حلم السّاحة العامّة (Agora) المنشود يبدو غائبا في المجال العموميّ، لأنّ النّقاش العامّ المفضي لتأسيس ديمقراطيّة حقّة هو النّقاش العامّ الّذي يشتغل وفق آليّات ديمقراطيّة، ويحكمه الحجاج العقلّي والبرهان وتقبّل التّنوع الفكري والسّياسّي، وهو ما يدفعنا كباحثين أن نتساءل إذا ما كان هذا ينطبق على الفضاء العموميّ الإفتراضّي في الجزائر.

في الحقيقة أهّم ما ميّز جماعة الحراك هو التّفاوت من حيث الوعي والعفويّة، فكثير من الحراكيّين مجّرد كتل من اللّحم المتحّركة، وينطبق عليهم وصف غوستاف لوبون: «قلّمنا عند الكلام في صفات الجملة الأّوليّة أنّها منقادة عادة إلى العمل من دون أن تشعر بالّدافع إليه، فتأثير المجموع العصّبي في أفعالها أكبر جدّا من تأثير المخّ، وهي بذلك تشبه كثيرا الّرجل الفطرّي، وقد تكون الأفعال الّتي تَصدُر عنها كاملة من حيث التّنفيذ، إلّا أنّ العقل لم يكن رائدا فيها، بل أنّ الفرد في الجماعة يعمل طوعا للمؤثّرات الّتي تدفعه إلى الفعل، فالجماعة ألعوبة في يد المهيّجات الخارجيّة، وهي تمثّل تقلّباتها المستمّرة، وحينئذ هي مُسَخَّرةٌ للمؤثّرات الّتي تقع عليها» (لوبون، 1988، ص ص37-38).

كما انقسم مجتمع الفايسبوك الجزائرّي إلى مجموعتين متصارعتين، تعارض الأولى الوضع القائم بإنتاج خطابات تتراوح بين الشّعبوّي والنّخبوّي، تنادي بالتّغيير وتتكّون بشكل أساسّي من مجتمع مدنيّ افتراضّي كالمنظّمات النّقابيّة والحقوقيّة الشّبّانيّة النّاشطة على الفايسبوك، وتساند المجموعة الثّانية الوضع القائم وترفض التّغيير، وتتشكّل في الغالب من ص صمجهولة الهويّة.

وهكذا تحّول الفايسبوك تدريجيّا «من فضاء لإنتاج "النّحن" وتجسيدها الّرمزّي إلى فضاء لتفتيت "النّحن" وشرذمتها، فالفايسبوك يؤّسس لنوع هجين من الاتّصال العموميّ، يقوم على الّريبة والشّكّ وعلى تخمة من الأخبار والإشاعات والصّور وطوفان من

الفيديوهات، متحوّلا من آليّة للتّشبيك إلى أخرى للتّفريق، ومن آليّة للوصل الاجتماعّي إلى آليّة لتمزيق النّسيج الاجتماعّي» (حمزة، 2015، ص 34).

وعليه، فمسؤوليّة هذه الوضعيّات الاستثنائيّة تقع على المثّقفين الّذين – ومن خلال حمولتهم المعرفيّة والتّاريخيّة – بإمكانهم إحراج السّلطة القائمة بالفعل الحنِر والموزون، وكشف خيوط اللّعبة السّياسيّة وتبيان اللّامنطوق، زيادة على وضع أرضيّة فكريّة لمتطلّبات التّغيير، وضبط المفاهيم والمصطلحات، وتأسيس مجتمع مدنيّ واعٍ بالتّغيير وسننه.

قائمة المراجع:

أولا المراجع باللغة العربية:

1. إبراهيم بعزيز. (2010). *الاستخدام المفرط لوسائل الاتصال الحديثة من طرف الأفراد: الآثار والانعكاسات*. الملتقى الوطني الأول: تأثيرات وسائل الإعلام الجديدة على الأفراد والمجتمعات. سطيف: جامعة فرحات عباس.
2. ابن منظور الإفريقي. (1988). *لسان العرب*. بيروت: صادر.
3. الطاهر سعود ، و عبد الحليم ماهور باشا. (خريف 2016). *المدينة الجزائرية والحراك الاحتجاجي: مقاربة سوسيولوجية*. مجلة العمران.
4. سمية عبد المحسن . (09 ماي, 2016). *حول مفهوم "المجال العام" وجدوى دراسته في مجتمعاتنا*.
5. صادق حمامي. (2011). *الميديا الجديدة والمجال العمومي: الإحياء والانبعاث*. إتحاد إذاعات الدول العربية.
6. عبد القادر بوعرفة. (2019). *الحراك الشعبي بالجزائر: الدوافع والعوائق*. مجلة العلوم الاجتماعية.
7. عزة خليل. (2006). *الحركات الاجتماعية في العالم العربي: دراسات عن الحركات الاجتماعية في مصر، السودان، الجزائر، تونس، لبنان، الأردن*. (سمير أمين، المحرر) القاهرة: مكتبة مدبولي.
8. غوستاف لوبون. (1988). *روح الاجتماع: نفسية الجماهير*. الجزائر: دار الأنيس وموفم للنشر.
9. فؤاد بداني، و فوزية عبو. (ديسمبر, 2020). *الحراك الشعبي الجزائري والوعي الاجتماعي في منصات التواصل الاجتماعي: تمظهر الرسالة وتفاعل الوسيلة*. مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، 11.
10. كامل حميدو. (06 مارس, 2018). *الإعلام الاجتماعي وتحولات البيئة الاقتصادية العربية الجديدة*. مركز الجزيرة للدراسات.
11. كمال حميدو. (10 أكتوبر, 2019). *التّواصل الاجتماعيّ والنّشاط السّياسي، المواطن في الحراك الجزائريّ من دّوامة الصّمت إلى دّوامة التّعبير*. مركز الجزيرة للدراسات.
12. هواري حمزة. (سبتمبر, 2015). *مواقع التواصل الاجتماعي وإشكالية الفضاء العمومي*. مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية:

13. Cottereau, A., & Ladriere, P. (1992). *Pouvoir et légitimité*. Paris: éditions de l'école des hautes études en sciences sociales (EHESS).
14. digital. (2019, january). Récupéré sur slideshare: *https://fr.slideshare.net/DataReportal/digital-2019-algeria-january-2019-v01*
15. Quéré, L. (1990). *Agir dans l'espace public: les formes de l'action*. Paris: éditions de l'école des hautes études en sciences sociales (EHESS).